

المعاجم العربية القديمة بين العُجْمة والإعجام

د. إقبال عبد العزيز منوفلي حمد

أستاذ اللغة والنحو المساعد - كلية الآداب والإدارة -

جامعة بيشة - المملكة العربية السعودية

الملخص

5

المعاجم العربية كنز من الكنوز الثمينة التي تحويها مكتبتنا العربية ، فهي التي حفظت ثروتنا اللغوية من الضياع ، تامة النضج ، محكمة النسخ ، مثلاً أعلى في الفصاحة والبلاغة . ولولا هذه المعاجم لضاع تراثنا اللغوي والحضاري ، ولجهلنا الكثير عن أساليب العربية وطرق استعمالاتها المتنوعة . والمعاجم لا يستغنى عن الرجوع إليها كل باحث في مجال اللغة وكل متصدي لمزاولة فنونها شعراً ونثراً ؛ حتى لا يخرج عن الأعراف اللغوية ، وحتى يتمكن من مسابرة روح العصر ومقتضيات الحضارة . معاجمنا العربية متنوعة ما بين معاجم المعاني ومعاجم الألفاظ ؛ بل الموسوعات ودوائر المعارف ، إلا أنّ هذه المعاجم بالرغم من الدور الكبير الذي لعبته في حفظ اللغة وشرح معاني مفرداتها، قد اتسمت ببعض الأمور التي عُدت مأخذاً عليها ؛ لأنها شكلت عقبة كبيرة أمام الباحثين والمستفيدين من هذه المعاجم ، وطعن في وظيفة المعجم الأساسية التي هي التيسير والتوضيح والإبانة . فغموض وتعقيد عبارة معاجمنا القديمة التي تمثل أمهات الكتب في هذا الفن ، لا تناسب روح العصر ولا روح طلاب العلم فيه ، والذين من أبرز شيمهم القلق وعدم الصبر ، لذا ارتفعت الكثير من الأصوات في هذا العصر تنادي بضرورة معالجة هذا الأمر، وصولاً إلى معجم عربي شامل سهل المأخذ عميم الفائدة ؛ لذا رأيت أن أضم صوتي إلى أصواتهم ببحثي في هذا الأمر تحت عنوان " المعاجم العربية القديمة بين العُجْمة والإعجام " .

Abstract

Arabic dictionaries treasure trove of precious treasures they contain Arabic our library, which they kept the linguistic wealth of the huge loss, full maturity, weaving Court, for example, the highest in the eloquence and rhetoric. Were it not for this lost heritage dictionaries for linguistic and cultural ignorance and a lot about the Arabic methods and ways of diverse uses. Dictionaries and indispensable reference for every researcher in the field of language and all Mtsidi to practice the arts poetry and prose; so as not to deviate from the customs and language so that he can keep up the spirit of the times and the requirements of civilization. A variety of Arab Maajmna between dictionaries meanings and dictionaries of words; rather, encyclopedias and encyclopedias, but these dictionaries spite of the significant role it has played in keeping the language and explain the meanings of vocabulary, has been characterized by some of the things that I went back to heart them; for they formed a major obstacle to researchers and the beneficiaries of this dictionaries, and challenged the basic function which is the lexicon facilitation and clarification and designation. Ambiguity and complexity of the old Maajmna words that represent the mothers of the books in this art, does not fit the spirit of the times and the spirit of science students in it, and who of the leading Hamanm anxiety and lack of patience, so it rose a lot of votes in this age calls for the need to address this matter, all the way to a comprehensive glossary of Arabic Easy outlet Amim interest; so I saw that I join their voices in my research this matter under the title "Arab lexicon between the kernel and Alaajam".

المقدمة :

اللغة العربية خصها الله بمكانة رفيعة حين أنزل بها كتابه الكريم ، الذي أكدت نصوصه حفظ هذه اللغة إلى يوم الدين، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" ١. وللمعاجم اللغوية دور عظيم في حفظ هذه اللغة ، فما من كلمة جرى استخدامها على ألسنة العرب الفصحاء في محافلهم الرسمية أو في مجتمعاتهم المحلية وحياتهم العادية ، إلا وحفظتها هذه المعاجم مقرونة بشرحها وتفسيرها واستعمالاتها المختلفة ؛ بل أنها تضمنت الكثير من الكلمات الأعجمية التي جرى استعمالها في البيئات العربية القديمة .

الجدير بالذكر أن معاجمنا العربية برغم قيمتها العظيمة وقامتها العالية هذه لم تسلم من جملة عيوب ومآخذ ، منها ما يتعلق بطريقة ترتيب بعضها ومنها ما يتعلق بتنظيمها الداخلي ؛ مما جعل التعامل معها والاستفادة منها أمر ليس باليسير ، وجعلها فوق مستوى الطالب العادي ، وهذا الأمر يتنافى مع وظيفة المعجم الاصطلاحية من حيث إزالة العجمة وتيسير فهم معاني الكلمات. بناءً على هذا فإن معاجمنا القديمة تحتاج إلى جهود كبيرة من أجل تحريرها من هذه العيوب ، حتى لا تضيع قيمة ثروتها اللفظية العظيمة ، وحتى لا تخرج عن مفهوم " أعجم " الذي يعني إزالة العجمة إلى مفهوم " عجم " الذي يعني العجمة والغموض . نظراً لأهمية هذا الأمر اخترت أن أبحث في هذا الإطار ، تحت عنوان " المعاجم العربية القديمة بين العجمة والإعجام " . وسوف تستعرض الدراسة أولاً المدارس المعجمية الثلاث السابقة للمدرسة المعجمية الهجائية الحديثة ؛ لأن هذه المدارس هي التي صنعت لنا المادة المعجمية الأولى التي استفادت منها المدرسة الحديثة إلى حد كبير ، والنظام التي اتبعته كل مدرسة في ترتيب الألفاظ ، وإعطاء فكرة مختصرة عن كل معجم من معاجم تلك المدارس ؛ لأن الكثير من هذه المعاجم يُعد من أمهات المعاجم في مكتبتنا العربية ، وأن لكل معجم مزايا تختلف عن بقية معاجم المدرسة الأخرى . ثم بعد ذلك تبين المآخذ ووجوه القصور التي اتسمت بها تلك المعاجم ، والتي أضفت عليها التعقيد والغموض ؛ مما جعل الاستفادة منها عزيزة محفوفة بالصعاب .

أسباب اختيار الموضوع :

١- الدور العظيم التي تلعبه المعاجم في حفظ اللغة وتيسير فهم معانيها .

٢- معرفة الطرق المختلفة التي جمعت بها المادة اللغوية الضخمة التي اشتملت عليها أمهات معاجمنا .

٣- تبيين وجوه الخلل في معجمنا العربي ، والتي تشكل عوائق وعقبات في وجه المستفيدين من هذا المعجم .

أهداف الدراسة :

١ - الوقوف من خلال هذه الدراسة على المجهودات العظيمة التي بذلها علماءنا في جمع مفردات اللغة داخل معاجم منظمة ، وفق طرق مختلفة ، تدل على عبقريتهم وعمق تفكيرهم .

٢ - الوقوف على الأسباب التي أعدت المعجم العربي عن المقارنة بالمعاجم الأجنبية التي تمتاز بالسهولة واليسر ووضوح العرض .

أهمية الدراسة : تنبع من:

١- ارتباط المعجم العربي بلغة كتاب الله عزّ وجلّ .

٢- ضرورة لفت الانتباه وشحن همم المختصين لمواصلة جهودهم في إصلاح مواطن الخلل في المعجم العربي ؛ خاصة أن هنالك مقترحات عديدة في هذا الصدد .

حدود الدراسة :

تبيين مزايا المعجم العربي والدور الكبير الذي لعبه في جمع اللغة وشرح مفرداتها . والكشف عن العيوب والنقائص التي وصمت بها معاجمنا القديمة ، والتي تتعارض مع التيسير والوضوح الذي يجب أن تتصف به المعاجم اللغوية .

منهج الدراسة :

اتبعت الدراسة منهجاً وصفيّاً .

محاور الدراسة :

تشتمل الدراسة على ثلاثة محاور :

المحور الأول : تعريف المعجم وأهميته وأنواعه .

المحور الثاني : المدارس المعجمية .

المحور الثالث : عيوب المعجم العربي .

المحور الأول : تعريف المعجم وأهميته وأنواعه

لفظ " عجم " يدل في الأصل على الإبهام وعدم البيان ، يقال رجل أعجمي وامرأة عجماء أي من العجم ، إذا كانا لا يفصحان ، والعجمي هو مبهم الكلام الذي لا يتبين كلامه ، وأمر معجم إذا اعتاص . ومعجم الخط هو الذي أعجمه صاحبه بالنقط ، ويقال قرأ فلان فاستعجم عليه ما قرأه ، إذا التبس عليه ولم يتهياً له أن يمضي فيه . وإذا قلت كتاب معجم فإن عجمته تنقيطه ، لكي تستبين عجمته وتصح . وسميت حروف المعجم بذلك من التعجيم وهو إزالة العجمة بالنقط ١ . قال ابن جني : تصريف "عجم" في كلامهم موضوع للإبهام وخلاف الإيضاح ، وإذا قلت أعجمت الكتاب فمعناه أوضحته وبيّنته ، فقد ترى هذا مخالفاً لما ذكر ، فتقول من أين لك الجمع بينهما ، فالجواب أعجمت وزنه أفعلت ، أفعلت هذه وإن كانت في غالب أمرها تأتي للإثبات والإيجاب نحو : أكرمت زيداً ، أي أوجبت له الكرامة ، وقد تأتي أفعلت أيضاً ويراد بها السلب ، وذلك نحو: أشكيت زيداً إذا أزلت له ما يشكوه ، وذلك مثل قوله تعالى " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا " ٢ ، أي أكاد أظهرها وأزيل عنها خفاءها . ويكون قولنا أعجمت الكتاب ، أي أزلت عنه استعجامة ٣ . وعلى هذا يصير معنى أعجم : إزالة العجمة والغموض والإبهام ، ومن هنا أطلق على نقط الحروف لفظ " الإعجام " لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض . وفهم من هذا أن لفظ " مُعجم " اسم مفعول من الفعل " أعجم " أو هو مصدر ميمي من الفعل نفسه ، ويكون معناه الإعجام أو إزالة العجمة والغموض ٤ .

أما المعجم في الاصطلاح فهو : كتاب يجمع ألفاظ اللغة بطريقة وافية ، أو من زاوية خاصة يراها مؤلفه كأن يجمع الصحيح ، أو المهدّب ، أو الجمهور من كلام العرب ويشرحه ويؤيد شرحه بمأثور كلام العرب ٥ . وعرف أيضاً بأنه " كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة ، وكيفية نطقها وكتابتها ، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي " ٦ ، والمعاجم هي بحوث ترمي إلى حفظ اللغة وضبطها وسلامتها وتخليدها ، وهي ذات أثر جليل في حياة لغة الكتابة وحفظها من التحريف وتهذيبها ونقلها من السلف إلى الخلف ٧ .

١ - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي : لسان العرب ، بيروت : دار صادر ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، مادة " عجم " محمد بن أحمد الأزهرى ،

تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠١٠ م ، المادة نفسها .

٢ - سورة طه : الآية ١٥

٣ - أبو الفتح عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٠ - ٥٢

٤ - أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ، القاهرة : عالم الكتب ، ط ٩ ، ٢٠١٠ م ، ص ١٦٤

٥ - عثمان محمد أحمد الحاوي ومحمد سعد البغدادي ، في المعاجم اللغوية ، الدمام : مكتبة المتنبى ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٨

٦ - أحمد مختار ، المرجع السابق ، ص ١٦٢

٧ - علي عبد الواحد وايغ ، علم اللغة ، القاهرة : دار نهضة مصر ، ط ١٥ ، ٢٠١٣ م ، ص ٢٨٣

أول من أطلق لفظ معجم بمعناه الاصطلاحي هم رجال الحديث النبوي ، فقد أطلقوا كلمة "معجم" على الكتاب المرتب هجائياً والذي يجمع أسماء الصحابة ورجال الحديث ، يقال إنّ الإمام البخاري هو أول من أطلق لفظ معجم وصفاً لواحد من كتبه المرتبة على حروف المعجم. واللُّغويون القدماء لم يطلقوا هذه التسمية على مؤلفاتهم إنّما كانوا يطلقون عليها أسماء خاصة مثل العين ، والجمهرة وغير ذلك ، وإطلاق لفظ معجم على هذه الكتب جاء في وقت متأخر . ومن الكلمات المرادفة لكلمة معجم والتي كثر استعمالها في العصر الحديث كلمة " قاموس " . التي ظهرت في القرن التاسع الهجري وشاعت في العصر الحديث ، وأطلقت على أي معجم سوى كان باللُّغة العربية أو غيرها من اللُّغات ١٠.

يعد مجال العمل المعجمي من أصعب المجالات في علم اللُّغة ، فهو يتطلب مواصفات خاصة في صانعه ويتطلب دقة وصبر متناهيين ، كما أنّه يستلزم معرفة كل شيء عن اللُّغة المعنية والنظام العام لهذه اللُّغة . وصعوبة العمل المعجمي تأتي من كون المعجم يعالج ظاهرة مفتوحة لا تستقر على حال ؛ مما يجعل حصرها أمراً عزيزاً ، كما أنّه يتعلق بالمعنى في المقام الأول وهو من أصعب حقول اللُّغة ٢٠.

المعاجم بصفة عامة وفي أي لغة لها وظائف وفوائد متعددة ، والمعاجم العربية بجانب حفظها لألفاظ اللُّغة على مر الأزمان فإنّها تؤدي العديد من الوظائف التي تزيد من أهميتها ، ومن هذه الوظائف :

- ١- الحفاظ على القرآن الكريم من الأخطاء التي تتعلق بالنطق والفهم .
- ٢ - الحفاظ على اللُّغة من دخول ألفاظ دخيلة لا تخضع للمقاييس والموازن العربية .
- ٣ - تعد المعاجم مرجعاً نحويّاً لضبط المفردات بالشكل والحركات ، والتفريق بين الكلمات التي تتشابه في الأحرف والترتيب .
- ٤ - تعد المعاجم مرجعاً في تصريف الكلمات ومعرفة اشتقاقاتها .
- ٥ - تعد مرجعاً للتصحيح والتدقيق الإملائي .
- ٦- المعاجم تعد مرجعاً رئيساً للمصادر السماعية التي لا قاعدة لها .
- ٧ - تعد المعاجم مرجعاً جغرافياً وتاريخياً لاحتوائها على العديد من أسماء الأماكن والوقائع التاريخية وما يتعلق بها .

١- الحاوي والبغادي ، في المعجم اللُّغوية ، ص ١٢ - ١٣

٢- أحمد مختار ، البحث اللُّغوي عند العرب ، ص ١٦١

٨ - تمد الشعراء والكتاب بما يعينهم من ألفاظ في أداء رسالتهم

إنّ العناية بغريب القرآن والحديث النبوي كانت الباعث الأول للعناية باللُّغة شعراً ونثراً، والبحث في هذا الاتجاه يعد النواة الأولى للمعاجم العربية . فقد بذل العلماء الجهود الجبارة لجمع ألفاظ اللُّغة من منابعها الأصيلة خدمةً لكتاب الله الكريم ، فذهبوا إلى البادية وشافهوا الأعراب واستمعوا إليهم وهم يتحدثون في جميع شؤونهم وسجلوا ما سمعوا منهم ، وكانت محصلة ذلك ثروة لفظية ضخمة ٢٠ والمعاجم العربية التي هي في غالبها عبارة عن مجلدات ضخمة هي أصول المعاجم التي ظهرت في أوربا ؛ لأنّ مصنفها نهجوا نهج المشاركة في تصنيف معاجمهم اللُّغوية ٣٠

تفنن اللُّغويون العرب في أشكال معاجمهم وطرق تبويبها وفاقوا في ذلك سائر الأمم ، فقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة. وقد راعى هؤلاء العلماء في تبويب معاجمهم جانبي الكلمة " اللفظ والمعنى " ومن هنا انقسمت معاجمهم إلى قسمين هما :

أ - معاجم المعاني

ب - معاجم الألفاظ

وقد سارت معاجم المعاني على طريقةٍ واحدة ؛ بينما تعددت الطرق في معاجم الألفاظ ٤٠

أصحاب المعاجم بنوعها لم يدونوا في معاجمهم إلا ما صح لديهم من الألفاظ ، فبجانب مشافهتهم لأعراب البادية ، فقد استقوا مادتهم اللُّغوية من القرآن الكريم، والحديث النبوي وما خلفه العرب الفصحاء من الشعر والنثر في عصور الاحتجاج اللُّغوي ٥٠

فكرة معاجم المعاني التي ترتب الألفاظ بحسب الموضوعات كانت أسبق في الوجود من معاجم الألفاظ ، فقد كان المدونون الأوّلون للغة يدونون المفردات التي سمعوها من الأعراب من غير ترتيب ، ثم جاءت الخطوة الثانية حيث جمعوا الكلمات الخاصة بموضوع واحد، وأظهر ما كان في هذا الشأن ، كتب الأصمعي مثل كتاب الأنواء ، وكتاب الأبل ، وكتاب الشاه وغيره ؛ حيث كان يجمع ما ورد من الألفاظ اللُّغوية في موضوع

١ - الحاوي والبغادي ، في المعاجم اللُّغوية ، ص ١٧ - ١٨

٢ - رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، الدمام : مكتبة المتنبي ، ١٩٤٣م ، ص ١٠٨ ، ٢١١

٣ - رينهارت بيتر أن دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، بغداد : دار الرشيد ، ط ١ ، ١٩٧٩م - ٢٠٠٠م ، ص ١٤

٤ - أحمد مختار ، البحث اللُّغوي ، ص ١٧٥

٥ - الحاوي والبغادي ، المرجع نفسه ، ص ٣١

واحد ويسميه كتاباً ١٠. ثم تطور الأمر في القرن الثالث حيث ظهرت كتب تجمع أكثر من موضوع في مجلد واحد، مثل كتاب "الصفات" للنضر بن شميل وكتاب "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام و"متخير الألفاظ" لابن فارس و"فقه اللغة وسر العربية" لأبي منصور الثعالبي. وقد ألفت الكثير من المعاجم على هذا النهج؛ إلا أن أهم هذه المعاجم هو كتاب "المخصص" لابن سيده الأندلسي وكتاب "كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ" لابن الأجدابي ٢٠.

النوع الثاني من المعاجم هو معاجم الألفاظ وهو الذي حظي بنصيب أوفر من جهود العلماء، حيث كثر تنافسهم في التأليف فيه، فكثرت المعاجم التي من هذا النوع بشكل ملحوظ مقابل نظيراتها من معاجم النوع الأول، الذي اعتمد على طريقة واحدة؛ بينما تعددت طرق الوضع والترتيب في معاجم الألفاظ، إذا اختلفت وجهة نظر العلماء في جمع ألفاظ اللغة وحصرها، فسلكوا في ذلك طرقاً متعددة، فنتج عن ذلك العديد من المدارس المعجمية التي تمثل كل منها مرحلة تختلف عن سابقتها، وهذا ما سنقف على أهم تفاصيله في المحور التالي.

١- أحمد أمين، ضحى الإسلام، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٧، د. ت، ص٣٠٢

٢- أحمد مختار، البحث اللغوي، ص٢٨٨

المحور الثاني : المدارس المعجمية

تتمثل هذه المدارس في :

١ / مدرسة التقليلات الصوتية :

رائد هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي لم يجد فيما بين يديه من رسائل صغيرة منهجاً يعينه في تطبيق فكرة المعجم التي اكتشفها وحاول تطبيقها . وقد اهتدى الخليل إلى منهج اعتمد على أنّ اللُّغة العربية تتألف من تسعة وعشرين حرفاً لا تخرج عنها أي كلمة . الخليل الذي كان يعيش في جو الأصوات والأنغام وإيقاعات الموسيقى وتفعيلات العروض ، ابتكر نظاماً جديداً قائماً على الأصوات ، لأنّ الألفاظ اللُّغوية عنده أصوات شبيهة بأنغام الآلات الموسيقية ؛ لذا رأى أنّها تدرس كما تدرس هذه الأنغام . ١

رتب الخليل كتابه الذي سماه " العين " الذي يعد أول معجم عربي منظم ترتيباً صوتياً حسب أبعد الحروف مخرجاً ، فبدأ بحروف الحلق ، ثم أقصى اللسان إلى أن وصل إلى الحروف الشفوية . ٢ فقد حصر الخليل ألفاظ اللُّغة بترتيب هذه الحروف في نظام ثابت يكون الحرف الأول من هذا الترتيب أولها ، والكلمات التي يكون هو نفسه ثانياً ، ثم التي يكون هو ثالثها ... إلخ ، وقد لاحظ في ذلك أنّ الكلمات العربية محصورة بين الثنائي والخماسي ، فهي لا تقل عن ذلك ولا تزيد عنه إلا بحروف الزيادة التي لا دخل لها في المعنى الأصلي للكلمة . فهو قد رتب كتابه ترتيباً مخرجياً ، مبتدئاً بأعمق الحروف وهي حروف الحلق ، وجعل لكل حرف كتاباً باسمه ، فالمعجم كتاب بعدد حروف الهجاء في كل كتاب ؛ حيث يضع الكلمات التي تشمل الحرف الذي يحمل اسم الكتاب ، سوى كان في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها . أيضاً اعتمد الخليل نظام التقاليب ، فكان يقرب الكلمة على جميع أوجهها المحتملة ، فكلمة " قد " تقرأ بوجهين ، تبدأ بالقاف ثم الدال وتقرأ بالقاف ثم الدال ، وكلمة " عند " تكون " ع ن د " - " ع د ن " - " ن ع د " - " ن د ع " - " د ع ن " - " د ع ن " . ٣

وفق هذا النظام نحصل من الجذر الثلاثي على ستة كلمات ، والجذر الرباعي نحصل منه على أربعة وعشرين كلمة ، والجذر الخماسي نحصل من تبديل حروفه على مائة وعشرين كلمة . وطريقة الكشف عن

١ - حسين نصار ، المعجم العربي نشأته وتطوره ، القاهرة : دار مصر للطباعة ، ط ٤ ، ١٩٨٨ م ، ج ١ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥

٢ - عبد الفتاح فرح ضو ، المهارات اللُّغوية ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م ، ٢٠٨

٣ - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، (د. ط.) ، ص ١٥

الكلمات تقتضي أولاً تجريد الكلمة من الزوائد لتحديد جذرها ، ثم البحث عن أعمق أصواتها لتحديد الكتاب ، فإن كان بينها "ع" أياً كان موضعها فإنّ مكان الكلمة كتاب العين ، وإن لم يكن بها "ع" ووجد بها "ح" فموضعها كتاب الحاء ، لذا يجب على الباحث معرفة الترتيب المخرجي للحروف وعليه أن يبحث عن أقصى حرف من حيث المخرج ، ثم بعد ذلك ينظر للكلمة أهي من الثنائي أم من الثلاثي الصحيح أم المعتل ؛ وبعد ذلك يحدد مادة الكلمة عن طريق إعادة ترتيبها صوتياً ، ثم يستخرج كل التقلبيات الممكنة منها ، وسيجد جذر الكلمة المطلوبة ضمن هذه التقلبيات ١.

بعد أن ظهر كتاب العين كفاتحة لحركة التأليف المعجمي المنظم ، وكأول معجم لفظي في هذا الصدد؛ ظفر هذا المجال بجهود العديد من العلماء الذين انبروا لخدمة هذه اللّغة الشريفة من خلال جمع ألفاظها بين دفات الكتب مصحوبة بشروحها وتفسيراتها ، فظهرت خمسة معاجم أخرى انتهجت نهج الخليل في الترتيب ، لتكون معاجم هذه المدرسة ستة معاجم ، كل واحدٍ منها أحدث صدقاً يليق بالجهود العظيم الذي بذل فيه ، ونال شرف الانتماء لأول مدرسة معجمية ، كان لها الفضل في لفت نظر المؤهلين لدخول هذا المجال وخدمة اللّغة من خلاله. وهذه المعاجم هي :

١/ كتاب " البارع في اللّغة " لإسماعيل بن القاسم القالي البغدادي : ظهر في بلاد الأندلس في القرن الرابع الهجري في عهد الحكم المستنصر بالله. وقد اتبع نظام الترتيب بحسب المخارج كما فعل الخليل ، ولكنّه لم يرتب المخارج كما رتبها الخليل ؛ وإنما رتبها حسب ترتيب سيبويه للمخارج " ه ، ع ، ق ، ك الخ ؛ بيد أنّه وافق الخليل في نظام التقلبيات تماماً ٢٠. أراد القالي إصلاح بعض وجوه النقص التي كانت في كتاب العين ، فغيّر في منهجه بعض الأمور حيث أجري بعض التعديلات ، فأضاف بعض ما أهمله الخليل ونسب بعض الشواهد غير المنسوبة إلى قائلها ، كما أكمل الشواهد المبتورة ، وفصل الرباعي الذي جمعه الخليل مع الخماسي وأفرد لكلٍ منهما باباً خاصاً به ، كما فصل الألفاظ الثلاثية المعتلة بحرفٍ واحد عن باب اللّيف وجعلها في باب خاص باسم الثلاثي المعتل ٣.

دفع كتاب البارع حركة التأليف المعجمي خطوات إلى الأمام فيما يتعلق بالمادة كماً وكيفاً ، إذ زاد على كتاب الخليل نحو ثلاث وثمانين وستمائة وخمسة ألف كلمة ، وقد عني بالصحيح من المراجع وضبط

١. أحمد مختار ، البحث اللّغوي ، ص ١٩٣

٢. حسين نصار ، المعجم العربي ، ج ١ ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦

٣. عبد العلي الودغيري ، المعجم العربي بالأندلس ، الرباط : مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ص ١٨ ، ٢٢

ألفاظه لحمايتها من التحريف ، كما عزی كل قولٍ اقتبسَه إلى قائله وربط بين المعاجم وكتب الأدب . وقد قال عنه الزبيدي " لا نعلم أحداً من المتقدمين أو المتأخرين ألف نظيره في الإحاطة والاستيعاب " .^١

٢ / كتاب تهذيب اللُّغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري : ظهر في القرن الرابع ، وكان مؤلفه يرمي إلى تنقية اللُّغة من الشوائب التي تسربت إليه على يد سابقه ومعاصره ، كما يقول في مقدمة الكتاب " وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللُّغة لأنِّي قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها وغيرها الغُتم عن سَننها ، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والتحريف على قدر علمي ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله ، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب " .^٢

اتبع الأزهري في تقسيم كتابه المنهج الذي وضعه الخليل في مقدمة كتاب العين من حيث الترتيب وتقسيم أبواب الكتاب ؛ إلا أنَّه خالفه في المواد التي تضخمت عنده كثيراً نتيجة أخذه عن الكثير من اللُّغويين ، فالأزهري لم يقتصر على المواد التي أوردها قبله الخليل وابن دريد ؛ بل زاد عليها كثيراً ، وكان متأثراً بأحكام الخليل اللُّغوية والنحوية . ويمتاز التهذيب بأن صاحبه فحص ألفاظه فحصاً شديداً ونقد ألفاظ سابقه ؛ فصحح كثيراً من مفردات اللُّغة واستشهد بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فأصبحت ضمن التراث المعجمي .^٣

٣ / كتاب المحيط للوزير الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد : ظهر في القرن الرابع الهجري على ترتيب الخليل والأزهري للحروف . وقد اختلف المحيط كثيراً عن المعاجم اللُّغوية التي ظهرت في القرن الرابع ؛ إذ اتسم بالاختصار لأنه اعتمد على تفسير واحد للفظ دون الالتفات إلى الألفاظ المتفقة والمختلفة التي أدلى بها اللُّغويون بشأنه ، وأنَّه أكثر من الألفاظ وقلل الشواهد . كما أنَّه انضرد دون غيره من مؤلفي المعاجم السابقة له بالكثير من الألفاظ والمعاني مع عنايته الكبيرة بالعبارات المجازية .^٤

٤ / كتاب المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي : ظهر في القرن الرابع الهجري ، وقد كان هدفه جمع المشتت من المواد اللُّغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يغني عنها ، وإلي الانتظام والاختصار ودقة التعبير ، وقد وصف ابن سيده الكتاب في مقدمته بقوله " إنَّ كتابنا مشفوع المثل بالمثل مقترن الشكل

١ . الود غيري ، المعجم العربي بالأندلس ، ص ٢٢

٢ . محمد بن أحمد الأزهري الهروي ، تهذيب اللُّغة " مرجع سابق " ج ١ ، ص ٤٥

٣ . نصار ، المعجم العربي ، ص ٢٧٩

٤ . حسين نصار ، المعجم العربي ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥

بالشكل ، مهذب الفصول ، مرتب الأصول بعد الفروع ، هذا إلي ما تحلى به من التهذيب والتقريب ، والإشباع والانتساع ، والإيجاز والاختصار مع السلامة من التكرار والمحافظة على المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة .^١ انتهج ابن سيده نهج الخليل في ترتيب معجمه ، ورسم لنفسه في مقدمته خطة محكمة ليسيير عليها في اختيار الألفاظ التي سيدخلها تحت مواده، فحذف المشتقات القياسية لاضطرادها ، وميَّز أسماء الجموع وجموع الجموع ، كما راعى في ترتيب الألفاظ داخل المواد تقديم المفرد على الجمع ، وجمع القلة على الكثرة، والمجرد على المزيد. وقد كثرت الأحكام النحوية والصرفية جداً في المحكم ؛ وذلك لأن من أهداف الكتاب تصحيح الآراء النحوية الخاطئة^٢.

٢/ مدرسة الترتيب الألفبائي مع نظام التقاليب :

أول معاجم هذه المدرسة هو كتاب الجماهرة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي الذي تجنب نظام المخارج الذي اتبعته المدرسة السابقة ، لما فيه من العسر والمشقة على القراء واتباع الترتيب الألفبائي العادي الذي قال عنه في مقدمته عن كتابه " وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة إذ كانت بالقلوب أعبق وفي الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة، وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشفياً على المراد .^٣

وقد جعل ابن دريد أساسه الأول الأبنية ، وذكر ذلك أيضاً في المقدمة ؛ حيث قال " أول ما يحتاج إليه الناظر في هذا الكتاب ليحيط علمه بمبلغ عدد أبنيتهم المستعملة والمهملة ، وأن يعرف الحروف المعجمة بمخارجها ومدارجها وتباعدها وتقاربها، وما يأتلف منها وما لا يأتلف."^٤ وتصنيف ابن دريد في الأبنية هو تصنيف الخليل مع بعض الزيادات ، فالأبنية عنده ثلاثية ورباعية وخماسية كالخليل مع إضافته ملحقات بكل صنف منها . وابن دريد والخليل يشتركان في الكثير من الظواهر التي سادت كتابيهما لتواليهما ، إلا أنّهما اختلفا في بعض الصيغ والشواهد نتيجة لرجوع ابن دريد إلى مراجع أخرى غير العين ، وقد تفوق ابن

١. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هندواي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ،

٢٠٠٠م ، ج١ ، ص ٣٧

٢. أحمد مختار، البحث اللغوي ، ج٢ ، ص ٢٠٠

٣. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، تحقيق رمزي منير البعلبكي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص ٤٠

٤. نفسه ، ص ٤١

دريد على الخليل في ذكر اللغات والإكثار منها وخاصة اللغات اليمينية ، كما أنّ ابن دريد عنى بالمعرب والمولد والدخيل من اللغات الأخرى ١.

بجانب الجمهرة باكورة انتاج هذه المدرسة ظهر معجمان آخران على طريقة الترتيب الذي استنتها ابن دريد لهذه المدرسة ، وهذان المعجمان هما :

١ / كتاب مقاييس اللغة لأحمد بن زكرياء القزويني " ابن فارس " : في أواخر القرن الرابع الهجري اكتمل جمع المادة اللغوية من مظاهرها المختلفة ، وأصبحت تحت أيدي اللغويين ليجدوا أسساً جديدة لوضع معاجمهم ، وقد وصلوا بالفعل إلى أسس مبتكرة نتيجة تعمقهم في هذه المادة التي جمعها السابقون لهم ، وفي مقدمة هؤلاء أحمد بن فارس في كتابه الذي أسماه " المقاييس " والذي رعى فيه إلى توضيح المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادة ، نجده يقول في مقدمة هذا الكتاب " إنّ لغة العرب مقاييس صحيحة ، وأصولاً لا تتفرع منها فروع . وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقاييس من تلك المقاييس ، ولا أصل من الأصول " ٢ .

لقد وافق ابن فارس في تقسيم وترتيب كتابه ابن دريد من حيث اتّباعه نظام " الألف باء " ، الذي جعله الأساس الأول للتقسيم ؛ لكنّه لم يجعل الأبنية أساس التقسيم كما فعل ابن دريد ، وبذلك تخلص من الأبواب الكثيرة التي كانت عند ابن دريد ٣. تحرى ابن فارس الألفاظ الصحيحة وكان ينص على كل أصل ارتضاه بالصحة ، وما لا يرتضيه بالضعف والشذوذ ؛ مما جعله يهتم بتبيين المعرب والحروف المبدلة من غيرها ، ويرد اللغات الضعيفة ولا يرتضي إلا كلام أهل البادية ، والمقاييس لا يعد معجماً عاماً للغة ، وإنّما هو معجماً خاصاً يدافع عن فكرة بعينها هي فكرة المقاييس ؛ ولكنّه مع هذا أفاد المعاجم العربية من حيث المادة بإضافة أشياء كثيرة أهملها من سبقوه ، ومن حيث المنهج ، فإنّه طرح فكرة التقاليد التي تقيد بها ابن دريد ومعجميو المدرسة الأولى ٤.

٢ / كتاب مجمل اللغة لأحمد بن فارس : ألف ابن فارس هذا الكتاب للتخلص من تعقيدات المعاجم السابقة له ، قال في مقدمة الكتاب " إنني شاهدت كتاب العين الذي صنّفه الخليل ابن أحمد ، ووعورة ألفاظه وشدة

١ - نصار ، المعجم العربي ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥

٢ - أحمد بن زكرياء القزويني ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٩م ، ص ٣

٣ - نصار ، المرجع نفسه ، ص ٣٤١

٤ - نفسه ، ص ٣٥٨

الوصول الى استخراج أبوابه، ورأيت كتاب الجهمرة الذي صنفه أبو بكر بن دريد، وقد وفى بما جمعه الخليل وزاد عليه، لأنّه قصد إلى تكثير الألفاظ وإظهار قدراته؛ أنشأت كتابي هذا يقل لفظه وتكثر فوائده، وسميته مجمل اللغة لأني أجملت الكلام فيه إجمالاً ولم أكثره بالشواهد والتصاريح إرادة الإيجاز" ١

يعد المجمل من أفضل ما ألفه ابن فارس، وقد وصفه صاحبه بصغر الحجم وحسن الترتيب، وقد رتبته مثل المقاييس على حروف الهجاء، فقسّمه إلى مضاعف وثلاثي، وما زاد على ثلاثة أحرف ٢.

٣ / مدرسة القافية : في أواخر القرن الرابع الهجري ظهر معجم " تاج اللغة وصحاح العربية " ، الذي يعرف اختصاراً بالصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، وسبب هذه التسمية إن المؤلف قد رمى فيه إلى تدوين الصحيح فقط من ألفاظ اللغة . وقد أدخل الجوهري نظاماً جديداً في ترتيب المعاجم ، ألا وهو نظام " القافية " الذي يعتمد الترتيب حسب الحرف الأخير، الذي يسمى باباً ويسمى الحرف الأول فصلاً ، أي أنّ المعجم ينقسم إلى ثمانية وعشرين باباً ، كل باب منها يتناول الألفاظ المتحددة الحرف الأخير، ثم يقسم كل باب إلى فصول حسب الحرف الأول من اللفظ مرتباً على حروف الألفباء. وقد استلهم الجوهري فكرة هذا الترتيب من ديوان الأدب لخاله الفارابي . وقد امتاز الصحاح بالسهولة والاختصار في الشرح ، وعنى بالمسائل النحوية والصرفية والمعرّب والمؤدّ والدخيل ، كما أشار إلى الضعيف والمنكر من اللغات واللغات المختلفة في اللفظ الواحد ٣. قال ابن منظور عن الصحاح في مقدمة لسان العرب : " رأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه ، فخف على الناس أمره فتناولوه ، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه . " ٤

تبع الجوهري في التأليف وفق هذا النظام العديد من المعجميين الذين تعد معاجمهم من أمهات المعاجم في المكتبة العربية وهي كما يلي :

١ / العباب الزاخر واللباب الفاخر لمحمد بن الحسن بن محمد العدوي الصاغانى : ظهر في القرن السابع الهجري ، وكان هدف الكتاب الجمع والتصحيح . وقد احتل العباب مكانة مميزة بين المعاجم العربية ؛ لأنّه جمع خير ما في المعاجم التي قبله مادةً ومنهجاً ، فقد عُد من المعاجم العربية الرئيسية التي لا يستغنى عنها الباحث ، وقد أشاد به كبار اللغويين أمثال السيوطي والفيروز آبادي . وقد امتاز المعجم الذي رُتب على نظام

١ - أحمد بن زكرياء القزويني ، مجمل اللغة ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ج١ ، ص٧٥

٢ - أحمد مختار ، البحث اللغوي ، ج٢ ، ص٢١٥

٣ - إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٩٨٧م ، ج١ ، ص٢٣

٤ . ابن منظور ، لسان العرب " مرجع سابق " ، ج١ ، ص٧

القافية باهتمامه على ما تفرق في كتب اللغة المشهورة، وأنه استشهد بالقرآن والحديث النبوي وأشعار العرب وأمثالهم، كما اهتم بذكر أسماء اللغويين ١.

٢/ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي: من أضخم المعجمات العربية وقد رُتب حسب القافية كما رتب الجوهري صحاحه، وكان يهدف إلى الاستقصاء والترتيب. امتاز اللسان بالسهولة والتوسع في الشرح والإفاضة في ذكر أسماء الرواة واللغويين والنحويين، وكثرة الشواهد وتنوعها، وكثرة الأحكام والتفسيرات النحوية والصرفية، والعناية بالمترادفات والنوادر، قال عنه صاحبه في مقدمته " جاء الكتاب بحمد الله واضح المنهج سهل السلوك، آمناً بمنة الله من أن يصبح مثل غيره وهو مطروح متروك، عظم نفعه بما اشتمل عليه من العلوم، جمع من اللغات والشواهد والأدلة ما لم يجمع مثله، فجاء بحمد الله بديع الإتقان، صحيح الأركان، سليماً من لفظة لو كان." ٢

٣/ القاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي: جاء في القول المأنوس: " صاحب القاموس المستطاب اقتضى أثر صحاح الجوهري في ترتيب الفصول والأبواب وزاد عليها من غيرها، وسماه القاموس المحيط، أي هو بحر محيط اللغات." ٣ قال الفيروز آبادي في مقدمته " وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد، مطروح الزوائد، معرباً عن الفصح والشواهد، وضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم، وأضفت إليه زيادات من الله بها وأنعم." ٤

تميز القاموس المحيط بحسن التنظيم الداخلي للمواد والاستقصاء والإيجاز، بجانب عنايته بالمصطلحات العلمية والطبيات، والمؤدّد والأعجمي والغريب من الألفاظ. ٥

٤/ تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض السيد محمد المرتضى الزبيدي: ظهر في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وكان يهدف إلى جمع الدراسات الكثيرة التي دارت حول القاموس المحيط بسبب إيجازه وغموضه في كتاب واحد، وشرح جميع ما في القاموس وتحقيقه تحقيقاً علمياً موثقاً. وقد بذل المؤلف في ذلك مجهوداً عظيماً برجوعه إلي عشرين ومائة من المراجع، قال الزبيدي: " قرعت ظنوب اجتهادي

١ - أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص ٢٥٤

٢ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٨

٣ - محمد سعد الله، القول المأنوس في صفات القاموس، الهند: مطبعة آديان، ١٢٨٧ هـ، ص ٢٥-٢٦

٤ - أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦ هـ، ج ١، ص ٢٧

٥ - نصار، المعجم العربي، ج ٢، ٤٦٣ - ٤٦٤

واستسعت يعبوب اعتنائني في وضع شرح عليه ممزوج العبارة ، جامع لمواده بالتصريح في بعض وفي بعض بالإشارة ، واف بيبان ما اختلف من نسخه والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول ، حاو لذكر نكته ونوادره والكشف عن معانيه والإنباه عن مضاريه وماأخذه بصريح النقول ، والتقاط أبيات الشواهد له ، مستمداً ذلك من الكتب التي يسر الله تعالى بفضله وقوفي عليها . ١

ظهرت شخصية الزبيدي في التاج إلى حد جعله يفوق مجرد شرح أو تعليق ؛ بل قد عدّه اللغويون معجماً قائماً بذاته؛ إذ أنّه يمتاز بكثرة المواد والأعلام والفوائد الطبية والمصطلحات ، إضافة لعنايته بالمجاز وضبط الألفاظ والالتفات إلى اللهجات العامية ودلالة التراكيب ، وقد ختم هذا المعجم عهد المعجمات المطولة ، وعدّ تاجاً للمعاجم وأنّه أصح وأشمل وأكبر معجم ؛ لأنّه اطلع على أكثر المعاجم القديمة الأمهات ، ونظر في نقود أصحابها كل منهم لأخيه، فأفاد من ذلك ، وهو يلي اللسان في الشمول والكثرة ٢.

١ - محمد بن عبد الرازق الحسيني المرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الكويت : دار الهداية ، [د . ت] ، ج ١ ، ص ٤ - ٥

٢ - نصار ، المعجم العربي ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠

المحور الثالث : عيوب المعاجم القديمة

إنَّ المعاجم القديمة التي كانت ترمي لخدمة اللُّغة العربية وتيسير الوصول إلى مفرداتها وفهمها ، اشتملت على الكثير من العيوب والمآخذ التي أضفت الكثير من الغموض والتعقيد عليها ؛ مما يتنافى مع طبيعة المعجم التي ترمي إلى التوضيح والتيسير، وجعلتها تحتاج للشرح والتبسيط حتى تكون في مستوى العامة المنتفعين بهذه اللُّغة العظيمة، وهم كُثُرٌ في هذا العصر الذي أصبح العلم فيه فرض عين على الجميع ، ولم يعد لمن يرغب ، أو للصفوة التي نزلت نفسها للتعلم ، فألّفت المعاجم على مستوى عقولها .

لقد كثرت في هذا العصر شكوى طلبة العلم من صعوبة البحث في معاجمنا القديمة ، لدرجة أن بعض الأصوات ارتفعت تطالب بالتخلص من اللُّغة الفصحى ؛ خاصة بعد اطلاعهم على المعاجم الغربية التي تمتاز بالسهولة واليسر وتوفير الجهد والوقت . يقول أحمد فارس الشدياق " إنَّ ألسنة الأعاجم زاحمت في هذا العصر ؛ لأنَّ كتب لغاتهم أسهل والوصول إليها أعجل ، لاسيما أنَّها قليلة المشتقات ، وليس في ألفاظها كبير اختلاف في الروايات . إنَّ المؤلفين الأوائل أجادوا وبرعوا ولكثَّهم ألفوا كتبهم حسب أفهامهم وأفهام أهل زمانهم ، فاختصروا وأجزوا ، وأشاروا ورمزوا ، ولم يضبطوا كلامهم ، فكأنَّ لم يخطر على بالهم التصحيف ؛ بل كانوا يكتبون بلا نقط ، ومن هنا كثر الخلاف في الروايات ، واتسع مجال التأويل ما بين نفي وإثبات . " ١

عيوب هذه المعاجم ليست مجرد هنات أو أخطاء طفيفة يمكن أن يُغض الطرف عنَّها ؛ بل أنَّها تجاوزت ذلك وتجرح طلاب العلم مرارة الوقوع في براثن تعقيداتها ، وحرار دليلهم في الخروج من متاهاتها ، وهم خالين الوفاض مما رموا إليه في غالب الأحيان ؛ ومما زاد الأمر تعقيداً أنَّ المدرسة الهجائية الحديثة لم تستطع تحرير مادتها بالكامل من براثن المدارس القديمة ، فقد كررت الكثير من الأخطاء بسبب التقليد لمن سبقوها . وهذه العيوب تتمثل في :

١ / التصحيف : التصحيف هو تغيير في نقط الحروف أو حركاتها مع بقاء صورة الخط ، فالكتابة العربية لا تبيِّن نطق الحروف التي ترسمها، وهي تحتاج إلى إشارات مضافة لتبيين الألفاظ ، وهذه الإشارات هي أصوات المد القصيرة " الضمة ، والفتحة ، والكسرة " ، والألفاظ من غير هذه الإشارات من الممكن أن تقرأ على عدة

١- أحمد فارس أفندي الشدياق ، الجاسوس على القاموس ، قسطنطينية : مطبعة الجوائب ، ١٢٩٩هـ ، ص ٣

وجوه ، ومن الممكن ألا تقع هذه الإشارات في مواضعها الصحيحة ، وقد جرت العادة أن تدون الكلمات عارية عن هذه الحركات ١.

لم يكثر أصحاب المعاجم لهذا الأمر فكثر التصحيف في معاجمهم ، حتى جاء أبو علي القالي وضبط الألفاظ في معجمه " البارع " بالعبارة ، كما فعل ذلك الفيروز آبادي في " القاموس " ولكن هذا النوع من الضبط ساعد على حشو المعاجم بمادة إضافية ، لأنها أرغمت المؤلف على أن يذلل كل كلمة بأخرى ، أو بكلمات قد تصل إلى خمس ليبين ضبطها . ومن أسباب التصحيف كذلك أن حروف الرسم العربي تنقسم إلى طوائف ، تشتمل كل طائفة منها على حروف متحدة الصورة لا يفرق بين بعضها البعض إلا بالإعجام أو الإهمال ، أو بعدد النقط ، وأن القلم كثيراً ما يزل في تدوين هذه النقط ، فيغفل بعضها ، أو ينقص أو يزيد ، أو ينحرف بها عن موضعها الصحيح ٢.

التصحيف لم يسلم منه أحد من أصحاب المعاجم حتى في العصر الحديث ، وقد صحف جماعة من أئمة هذه الأمة أمثال الخليل ، وعيسى بن عمر ، والأخفش ، والجاحظ ، والكسائي ، والفرّاء ، والمفضل الضبي وغيرهم ، جاء في المزهري في النوع الثالث والأربعين : " أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيّره عن الصواب . وقد قع فيه جماعة من الأجلء من أئمة اللّغة والحديث ، قال ابن دريد : صحف الخليل بن أحمد فقال " يوم بُغاث " بالعين المعجمة وإنما هو بالمهملة . ٣ " وأمثلة التصحيف في معاجمنا تجلّ عن الحصر ، وخير شاهد على ذلك أنّ السيوطي أفرد باباً كاملاً في مزهره لتصحيف الجوهري ، مع إشارته لوقوع هذا الأمر في كتب غيره حيث قال " واختصت كتاب الجوهري من الكتب اللغوية مع ما في غالبها من الأوهام الواضحة والأغلاط الفاضحة ، لتداوله واشتهاره واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه . " كما يقول أيضاً : " وأمثلة هذا النوع كثيرة ، منها ما في الجمهرة لابن دريد . " ٤

١ - علي عبد الواحد واخي ، فقه اللّغة " مرجع سابق " ، ص ١٩٥

٢ - نفسه ، ص ١٩٧

٣ - عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، المزهري في اللّغة وعلومها ، بيروت : دار الكتب ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ وصلاح الدين بن

أبيك الصفدي ، تصحيح التصحيف وتحريير التحريف ، تحقيق السيد الشرقاوي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٥

٤ - السيوطي ، المزهري ، ص ٧٩ ، ٧٨

التصحيف الواسع النطاق في المعاجم أدى إلى وجود عدد كبير من الكلمات لا تُعرف حركاته ولا حروفه على وجه اليقين، وكثرت الألفاظ التي ادعي فيها إبدال الحروف، وابتكرت ألفاظ لم تعرفها العربية من قبل

١.

٢ / القصور: جميع المعاجم القديمة قاصرة في مادتها رغم رغبة مؤلفيها في جمع شتات اللغة، فلا يوجد منها معجم شامل بالمعنى الدقيق. وهذا القصور أسبابه متعددة، فبجانب قلة المراجع التي اعتمد عليها صاحب كل معجم مع إغفالهم الألفاظ التي وردت في الرسائل الصغيرة وفي دواوين الشعراء؛ نجد أن نظرة أصحاب المعاجم للغة كانت نظرة ناقدة لا شاملة، تنبني على أن بعض القبائل العربية غير فصيحة لا يعتد بلغتها وبعضها فصيح يعتد بلغته، فتقيدوا بكلماتها دون غيرها وشرحوها في معاجمهم ٢. ومن أسباب هذا القصور أيضاً إهمال المولد وعدم اعتباره من اللغة، مما أضع الكثير من ألفاظ الحضارة الجديدة التي ابتكرها العباسيون، وجعل اللغة غير مواكبة للتطور. وكذلك نقص المواد وعدم اتساعها لإغفال بعض المعاجم مواد ذات أهمية، وإيرادها للغريب وغير المستعمل من الألفاظ ٣.

مظاهر القصور واضحة في معاجمنا ومن ذلك، تعريفهم اللفظة بأخرى دون ذكر الفرق بينهما، وكذلك المصدر من غير فعل فيوهمون بأنه اسم جامد، أو يذكرون الفعل دون مصدر، كما يذكرون الفعل الرباعي دون ذكر الفعل الثلاثي، فيوهمون أن الثلاثي غير وارد، كذكر الأفعال الرباعية المضاعفة الدالة على الحركة من غير ثلاثي مثل: "زعزع ودغدغ"، كما أنهم يوردون في التعريف ألفاظاً لا يذكروها في مظانها مع توقف المعني عليها، كقول الجوهري: ربح في تجارته أي استشف، ولم يذكر استشف في بابها، كما أنهم قد يستعيضون عن الابتداء بالفعل أو المصدر بذكر الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة ٤.

هذا القصور يمكن معالجته بجمع ما أهمله أصحاب المعاجم من خلال تحقيق دواوين الشعراء وكتب الأدب، فلربما تحصلنا على معاني جديدة؛ أما الألفاظ المولدة والمحدثة فيمكن أن نضمنها معاجم تسمى "معاجم اللغة العربية العامة" تحوي هذه الألفاظ بجانب الألفاظ الفصيحة ٥.

١- نصار، المعجم العربي، ج٢، ص ٦٠٢

٢- رينهارت بيتر آن دوزي، تكملة المعاجم العربية "مرجع سابق"، ص ١٤

٣- نصار، المرجع نفسه، ج٢، ص ٦٠٤

٤- الشدياق، الجاسوس على القاموس، ص ١٢، ١٤

٥- نصار، المعجم العربي، ج٢، ص ٦٠٦-٦٠٧، ٦١٠

٣/ الإبهام والغموض : المادة المعجمية بصفة عامة يعيها قصور العرض وإبهامه وسوء التفسير. فأكثر أصحاب المعاجم القديمة لا يلتزمون بتوضيح أبواب الفعل ومصادره ، والمتعدي منه واللازم ، والمفرد من الأسماء والصفات وجموعها ، والمعرب وأصله ومتى وكيف دخل للعربية ، وما اعتراه من تغييرات ، كما أنّهم كثيراً لا يميزون الأفعال والصفات والأسماء . كما يكثر لديهم التفسير بلفظٍ مجهول أو أقل دوراناً من اللفظ المفسر ، أو التفسير بالمرادف ، أو عدم التفسير البتة ، اعتماداً على الشهرة أو أنّه معروف ، حتى ضاعت أمور كثيرة كان يعرفها القدماء ولا نعرفها نحن . يرجع غموض العبارة وإبهامها في الغالب إلى الإيجاز الذي التزمه بعض أصحاب المعاجم ، فنجد ابن فارس مثلاً في المقاييس يميل إلى الاختصار فيترك ذكر بعض الصيغ أو يترك بعض الصيغ دون شرح . وكذلك يؤخذ على الفيروز آبادي في قاموسه إبهام عبارته وغموضها بسبب الاختصار الذي التزمه ؛ مما أرغمه على حذف كل ما لا يتعلق بالتفسير وإن كان مهماً ، وإلى التعريف بالمرادف وعطف المعاني كلها دون تمييز ، فجاء الفعل المذكور ملحقاً بفاعل مؤنث . بعض المعجميين غفل أيضاً شرح كثير من الكلمات الغربية الغامضة ، مكتفياً بأن يضع بعدها حرف " م " للإشارة إلى أنّها معروفة ، وأنّه يشرح المترادفين بالآخر بدون توضيح للمعنى الذي يدلان عليه ، وأنّه لا يميّز بين الفصيح والغريب والمهمّل ١٠.

من الغموض أيضاً عدم الدقة في التعبير والتصرف في الاقتباسات وإيراد الألفاظ في سياق غير مترابط ، ومثل ذلك وصم به الزبيدي في تاج العروس ٢٠ . كل هذه الأمور أضفت على عبارة الأقدمين غموضاً يتنافى مع طبيعة المعجم ، التي ترمي إلى الشرح والتوضيح وإزالة الغموض .

٤/ الاضطراب : النظم التي اتبعتها المعاجم في وترتيب موادها تسببت في إحداث فوضى واضطراب شديدين داخل هذه المعاجم ، فنظام المدرسة الأولى التي رتب ألفاظ معاجمها حسب المخارج والأبنية والتقاليب ، وكذلك المدرسة الثانية التي احتفظت بنظام الأبنية والتقاليب الذي ورثته من المدرسة الأولى ، أوقع المؤلفين أنفسهم في أخطاء في تلك الخطوات ، مثل وضع كلمة في غير بنائها أو اعتبار حرف مزيد أصلياً أو العكس ، وغير ذلك مما يصعب مهمة الباحث في هذه المعاجم . فقد انتقل الخلط وسوء التفسير إلى جميع المعاجم

١ - وفي، فته اللغة ، ص ٢١٩

٢ - نصار، المرجع نفسه ، ج ٢ ، ٥٣٩ ،

اللاحقة بسبب التقليد واحتفاظ اللاحقين بعبارات السابقين ، كابن منظور في لسان سار سيرة ابن سيده واضطرب اضطرابه ؛ بل ازداد اضطرابه لازدياد مواده ومراجعته ١٠. لقد وقع في المعاجم الكثير من الاضطراب كالخلط بين الرباعي والخماسي وما يلحق بهما ، والخلط بين الألفاظ المعتلة والصحيحة ، والخلط بين الثلاثي الأجوف واللصيف. ومن الاضطراب أيضاً خلط الأفعال الثلاثية بالرباعية ، والخلط بين الأفعال الخماسية والسداسية ، وخلط مشتقات الأفعال ، فيأتي أحياناً الخماسي والسداسي قبل الثلاثي والرباعي ، وقد يأتي أحد معاني الفعل في أول المادة وباقي معانيه في آخرها . والمادة قد تملأ عدة صفحات ، وربما تصفح الباحث المادة كلها ولم يظفر بطلبه ، بخلاف ما إذا كانت المادة مرتبة حسب ترتيب الصرفيين ، الذي يلتزم ترتيب المادة ، الثلاثي فالرباعي فالخماسي فالسداسي ٢٠.

اضطرب المعجميون في وضع كثير من المفردات بسبب مراعاتهم لبعض الأحكام الصرفية كالاشتقاق وأصالة الحروف وزيادتها ؛ مما أرغمهم على تكرار كثير من الألفاظ التي اختلف الصرفيون في أصلها الذي اشتقت منه ، وعلى إيراد بعض الألفاظ في مواضع لا تخطر على بال الباحث عنها ، وعلى أن يختلف موضع كثير من الألفاظ من واحد منهم إلى آخر . ومن الاضطراب أيضاً وضع اللفظ المعرب في مواضع بعيدة عن الأذهان. أما الاختلاف حول الهمزة وحروف العلة خاصة المعتل اليائي والواوي فهو كثير وملاحظ في معظم المعاجم القديمة .

بجانب اضطراب المعاجم في أبواب وفصول موادها نجد الاضطراب داخل المواد أشد وأعظم ؛ حيث أنّها تخلط بين المعاني المجازية والحقيقية ، والمتقدمة في الزمن بالمتأخرة، والمشتقات بعضها ببعض ، وقد تذكر الصيغة في أكثر من موضع ، وقد يرد في تفسيرها أكثر من قول ٣٠.

٥/ البعد عن الهدف الذي حدده المؤلف : من أعظم مواطن الخلل في معاجمنا القديمة عدم التزام المؤلفين بأهدافهم التي من أجلها وضعوا معاجمهم . نجد مثلاً ابن دريد أراد أن يقتصر في جمهرته على المشهور الشائع من كلام العرب ، فإذا به يحشو الكتاب باللهاجات اليمنية التي لا يعرفها عرب الشمال، كما أنّه أورد من الألفاظ ما ليس من كلام العرب ، قال الأزهري " وممن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم ، أبو بكر محمد بن دريد الأزدي

١- نصار، المعجم العربي، ج٢، ص٤٥١

٢- الشدياق، الجاسوس، ص١٠ وأحمد مختار عمر، البحث اللغوي، ٢٩٥- ٢٩٨

٣- الحاوي والبغدادي، في المعاجم اللغوية، ص١٥٣

صاحب كتاب الجمهرة ، وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفاً كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها .^١ وكذلك أحمد بن فارس الذي كان هدفه الاختصار وجمع الصحيح من الألفاظ في كتابه المجمل نجده فعل ما يينا في ذلك كثيراً ، بسبب تكرار اللفظ الواحد في مواضع كثيرة لتعدد معانيه ، وتصديره بعض الألفاظ بسند طويل عن روايتها ، بجانب حشو كتابه بما جاء في العين الذي رمى صاحبه إلى جمع الواضح والغريب في اللغة ، والجمهرة التي حُشيت باللغات اليمنية .^٢ مثال آخر للانحراف عن الهدف القاموس المحيط الذي قيّد مؤلفه نفسه في مقدمته بمجموعة من الخطط التي لم يلتزم بها ، نحو قوله " إذا تأملت صنيعي وجدته مشتملاً على فرائد أثيرة وفوائد كثيرة ، من حسن الاختصار وتهذيب الكلام ؛ ومن أحسن ما اختص به هذا الكتاب تخليص الواو من الباء ، وذلك قسم يسم المصنفين بالعي والإعياء ، ومنها أتى لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فعلة إلا أن يصح موضع العين منه ."^٣ نجده قد أخلّ بكل ذلك ولم يمتثل به ، فلم يلتزم بتمييز الواوي من اليائي، وأكثر من ذكر المطرد من أسماء الفاعلين، كما أنه لم يلتزم بالرموز التي نص عليها في مقدمته وأنه حشى الكتاب بذكر الأعلام والمصطلحات وأسماء الأماكن ، مما ليس له علاقة باللغة .^٤

بصفة عامة نلاحظ أن جميع أصحاب المعاجم قد انصرفوا عن أهدافهم ولم يمتثلوها بالكامل ، كما وعد بذلك كل واحد منهم في مقدمته ، وكثيراً ما انفسحت المادة منهم واتسعت لذكر ألفاظ ومسميات غير لغوية ، مكانها معاجمها المتخصصة وليست المعاجم اللغوية ، كمعاجم البلدان والأعلام وغيرها . كما حشيت المعاجم بالحكايات والمعلومات والسير والأخبار ، مما أدى إلى تضخم المعجم العربي وأخلّ بوظيفته الأساسية والتي هي الضبط وشرح المعاني المحتملة للصيغ المشتقة من تلك المادة .^٥

في الختام يمكننا القول بأن هذه العيوب تعد العناوين البارزة التي تندرج تحتها العديد من العناوين الصغيرة ، التي تعد إفرازاً طبيعياً لها وتمثل عيوباً فرعية منها ، تطعن في جسم المعجم العربي وتدعم الاتجاه الذي يقول أن المعاجم القديمة لا تلبى متطلبات العصر الحديثة ، ولا تراعي التطور التاريخي للغة ؛ لأنها

١- الأزهري ، تهذيب اللغة " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٢٧

٢- نصار، المعجم العربي ، ج ٢ ، ص ٣٧٣

٣- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط " مرجع سابق " ، ص ٢٧

٤- الشدياق ، الجاسوس ، ص ٢٠٤ ، ٣٠٦

٥- الحاوي والبغدادي ، في المعاجم اللغوية ، ص ١٥٤ - ١٥٥

وقفت عند عصر الاحتجاج اللغوي ، كما أنّها تجعل معاجمنا بالرغم من ارتباطها بلغة القرآن سيدة لغات

ولد آدم ، دون مستوى المعاجم الغربية التي تمتاز بالسهولة والوضوح ، وتراعي وقت وجهد الباحثين فيها .

الخاتمة : تشتمل على النتائج والتوصيات التي خرجت بها الدراسة .

أولاً : النتائج :- توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج التي تتمثل في :

١ - بذل المعجميون العرب جهوداً جبارة في جمع وشرح وترتيب مادتهم اللغوية .
٢ - تنوعت المدارس المعجمية بسبب سعي أصحاب المعاجم للأفضل من حيث طريقة العرض والتناول ، تحقيقاً لفائدة الباحثين والمنتفعين من معاجمهم .

٣ - وضع الخليل بن أحمد بتأليفه أول معجم منظم ، المعجميين العرب على الطريق الصحيح ، من حيث أنّ المادة المعجمية يجب أن تعالج بطريقة تختلف عن المواد العلمية الأخرى .

٤ - حاول كل صاحب معجم أن يميّز معجمه عن المعاجم التي سبقته ؛ مما جعل لكل معجم مزايا خاصة به .

٥ - أمهات معاجمنا اللغوية لم تؤلف دفعة واحدة ؛ بل استغرق ذلك قروناً عديدة ، نظراً لخصوصية العمل في هذا المجال ، وكونه يعالج اللغة، وهي ظاهرة مفتوحة تخضع للتفاعل والتأثير والتأثر .

٦ - المعجم العربي به الكثير من النقاّص والعيوب الواضحة التي تتعارض مع الوظيفة الأساسية للمعجم .

٧ - من أبرز عيوب المعجم العربي التصحيف ، والقصور، وبعد المؤلفين عن أهدافهم .

٨ - حشو معاجمنا بمواد كثيرة غير لغوية يتسبب في عناء الباحثين وضياح وقتهم وجهدهم .

٩- المعاجم القديمة بعيدة عن مقتضيات العصر الحديث ، وتنقصها السهولة والوضوح وقرب المأخذ .

١٠- معاجمنا لا تراعي التطور التاريخي للغة ؛ لأنّ مادتها وقفت عند عصر الاحتجاج اللغوي . ثانياً :

التوصيات : توصي الدراسة بالآتي :

١- اللغة العربية عظّمها الله ورفع شأنها ، فعلينا أن نضجر بذلك ونرفع مستوى معجمها حتى يسمو لهذه المكانة الرفيعة .

٢- يجب وضع ضوابط صارمة لوضع معجم عربي خالي من العيوب ، لقطع الطريق أمام أي محاولات تأليف جديدة تقتدي بالمعاجم القديمة ، لتزيد الواقع تعقيداً كما فعل الكثير من معاجم المدرسة الهجائية الحديثة وعلى رأسها المعاجم اليسوعية .

٣- يجب الكف عن القول بلا عمل في هذا الأمر الخطير ، نظراً للتحديات التي تواجه العربية وإسلامها ، فلا بد من أن يتحمل الجميع المسؤولية خاصة من بيده القرار .

٤— من أجل الخطوات العملية وحتى لا نضيع الزمن في البداية من لا شيء ، يجب الانطلاق من المقترحات والدعوات السابقة لإصلاح المعجم العربي من قبل مجمع اللغة القاهري وبعض الأفراد الحاديين على مصلحة هذه اللغة .

المصادر والمراجع :

- ١- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، [د . ت] .
- ٢- أحمد بن زكرياء القزويني ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٩ م .
- مجمل اللغة ، تحقيق زهير عبد المحسن ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٦ م .
- ٣- أحمد فارس أفندي الشدياق ، الجاسوس على القاموس ، قسطنطينية : مطبعة الجوائب ، ١٢٩٩ هـ .
- ٤- أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ، القاهرة : عالم الكتب ، ط٩ ، ٢٠١٠ م .
- ٥- إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٩٨٧ م .
- ٦- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي ، لسان العرب ، بيروت : دار صادر ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ .
- ٧- حسين نصار ، المعجم العربي نشأته وتطوره ، القاهرة : دار مصر للطباعة ، ط٤ ، ١٩٨٨ م .
- ٨- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق مهدي الخزومي وإبراهيم السامرائي ، [د . ت] .
- ٩- رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، الدمام : مكتبة المتنبى ، ١٤٣٣ هـ .
- ١٠- رينهارت بيتر آن دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، بغداد : دار الرشيد ، ط١ ، ١٩٧٩ م .
- ١١- صلاح الدين أبيك الصفدي ، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، تحقيق السيد الشرقاوي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٩٨٧ م .
- ١٢- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، المزهري في اللغة وعلومها ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٧ م .
- ١٣- عبد الفتاح فرح ضو ، المهارات اللغوية ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط١ ، ٢٠٠٩ م .
- ١٤- عبد العلي الود غيري ، المعجم العربي بالأندلس ، الرباط : مكتبة المعارف ، ط١ ، ١٩٨٤ م .
- ١٥- عثمان بن جني الموصلية ، سر صناعة الإعراب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .
- ١٦- عثمان محمد أحمد الحاوي ومحمد سعد البغدادي ، في المعاجم العربية ، الدمام : مكتبة المتنبى ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .
- ١٧- علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هندواوي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .
- ١٨- علي عبد الواحد وايفي ، علم اللغة ، القاهرة : دار نهضة مصر ، ط١٥ ، ٢٠١٣ م .

— فقه اللُّغة، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، طه، ٢٠٠٧ م.

١٩— محمد بن أحمد الأزهرى الهروى، تهذيب اللُّغة، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربى، ط١، ٢٠٠١ م.

٢٠— محمد سعد الله، القول المأنوس في صفات القاموس، الهند: مطبعة أديان، ١٢٨٧ هـ.

٢١— محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الكويت: دار الهداية [د.ت].



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY